المؤتمر الدولي الأول لطلبة الدراسات العليا

القضايا المعاصرة في العلوم الإسلامية، التحديات والحلول

محور البحث	**. العقل والنقل في الفلسفة المعاصرة**
عنوان البحث	**تحليل العقل الصهيوني وروح العدوانية عند عبد الوهاب المسيري**
اسم الطالب	**عبير زكراوي**
اسم المشرف (إن وجد)	**أ.د: يوسف العايب**
اسم الجامعة	**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ـ الجزائر-**
البريد الإلكتروني	**abirzekraoui6@gmail.com**
رقم واتساب الطالب	**0792559799**

ملخص:

مما لا شك فيه أن المعرفة العلمية بالواقع الإسرائيلي وبالإنسان الإسرائيلي أصبحت مطلبا ومسؤولية تقع على عاتق ذلك النفر من الباحثين المهتمين بدراسة هذا الواقع، ومن بين أبرز من كتب فيه المفكر العربي **عبد الوهاب المسيري** (ت:

2008م) حيث يقدم في كتاباته تحليلا عميقا للأيديولوجيات والمعتقدات التي تشكل العقلية الصهيونية وتحفز روح العدوانية التي تميزت بها ضد الشعوب الأخرى، من أجل فهم أعمق للعقل الصهيوني وكيف ارتبط مشروع هذا الأخير منذ بدايته بالمصالح الامبريالية للقوى الغربية في منطقة المشرق العربي والعالم .

الكلمات المفتاحية: العقل، الصهيونية، العدوانية.

Summary:

There is no doubt that scientific knowledge of the Israeli reality and the Israeli human has become a requirement and responsibility that falls on the shoulders of that group of researchers interested in studying this reality. Among the most prominent who wrote about it is the Arab thinker Abdul Wahab Al-Masiri (d. 2008), who presents in his writings a deep analysis of the ideologies and beliefs that shape the Zionist mentality and fuel the spirit of aggression that characterized it against other peoples, in order to gain a deeper understanding of the Zionist mind and how its

project has been linked since its inception to the imperialist interests of the Western powers in the Arab Mashriq region and the world.

مقدمة:

يحاول الوجود الصهيوني منذ قيامه، المحافظة على وجوده في الشرق الإسلامي، ويعتبر ذلك تحقيقا لوعد إلهي ولما ورد في كتبه المقدسة، ورغم الدعم العالمي الكبير الذي حصل عليه، إلا أنه بقي محافظا على خصوصيته الهوياتية ويجعلها محددا لسياسته الخارجية. وهذا ما ستتناوله هذه الدراسة من خلال تحليل الفكر الصهيوني كما رآه المسيري ، وتكمن أهمية هذا الموضوع في التأثير الكبير لهذا الكيان على السياسة العالمية والمنطقة العربية ،وفهم خلفياته الآيديولوجية، وبيان نواياه الإمبريالية و دعوى السلام المزعومة التي يشيد بها.

ونهدف من خلال بحثنا إلى دراسة تركيبة العقل الصهيوني ودوافع العنف في الشخصية اليهودية الإسرائيلية،و إبراز نوايا الامبريالية الإسرائيلية المدعومة من الامبريالية الأمريكية في المنطقة العربية و الإشارة إلى أن هذا السلام الواهي يحمل في طيات دمغته المائية احتمالا تجدد الصدام في أي لحظة.

ومن خلال ما سبق نطرح إشكاليتنا:_ **كيف يمكن للبعد الآيديولوجي و الهوياتي أن يحدد ملامح العقلية الصهيونية؟** وكيف تبرر الصهيونية مظاهر العنف والاضطهاد التي تمارسه ضد الفلسطينيين؟ و ماهي طبيعة العلاقة بين الصهيونية واليهودية في البناء الآيديولوجي للكيان الصهيوني؟.

اعتمادنا المنهج الوصفي التحليلي في بحثنا حيث وظفنا: **المنهج الوصفي**: من خلال طرح دراسات عبد الوهاب المسيري في الموضوع ووصفها حسب كل مرحلة من مراحل البحث. و**المنهج التحليلي**: من خلال دراسة وتحليل بعض القضايا المعتمدة في البحث بهدف استنتاج الحقيقة وربطها بالواقع.

ونرجو من خلال هذه البحث بيان منطلقات وجذور تركيبة العقل الصهيوني المستقاة من العقيدة اليهودية ومفاهيمها، وتوضيح أن الصهيونية وليدة الامبريالية الغربية التي وفرت لها الدعم المادي والسياسي والعسكري لتحقيق أهدافها في فلسطين وهذا ما يظهر في ممارساتها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني.

المبحث الأول: كيف ينظر المسيري للصهيونية.

المطلب الأول: مدخل مفاهيمي.

لمحة موجزة حول المسيري:

عبد الوهاب المسيري هو مفكر وعالم اجتماعي مصري، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية التي تعدّ أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين،وفيما يلي سنذكر موجزا عن سيرته

الذاتية والعلمية:[1]

ولد المفكر المسيري سنة 1938 في دمنهور بمحافظة البحيرة، التحق عام 1955م بقسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وذلك بعد إنهاء تعليمه الابتدائي والثانوي، وفي

عام 1964 حصل على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي المقارن من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، ثم على درجة الدكتوراه عام 1969 من جامعة رَتجرَز. تقلد حياته المهنية عدة مسؤوليات، من أبرزها: أستاذ زائر في أكاديمية ناصر العسكرية، وفي جامعة ماليزيا الإسلامية، وعضو مجلس الخبراء في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ومستشار ثقافي للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، ومستشار أكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن.

أغنى المسيري المكتبة العربية بعشرات المؤلفات، ولعل أبرزها "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية:

[1] عبد الوهاب المسيري.، رؤية فلسفية فريدة للعالم والإنسان، تنقيح: سامح عود:05 /07 /2020م، موقع الجزيرة

نموذج تفسيري جديد"، وتوفي يوم 2 يوليو/تموز 2008 ، عن سبعين سنة بعد صراع طويل مع السرطان.

تعريف العقل:

لغة: العقل هو الحجر والنهي، وهو نقيض الجهل [2] ، وجاء في المعجم الوسيط أن العقل هو إدراك الأشياء على حقيقتها، والغلام أدرك وميز، يقال: ما فعلت هذا مذ عقلت[3] ، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبو عن التورط في المهالك ، أي: يحبسه، وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان[4].

اصطلاحا: فأما الفلاسفة فقد كثر اضطرابهم في تحديد مفهوم العقل، وقد حدّه بعضهم بأنه: التصورات

والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة [5] ، وهناك من عرفه بأنه: مجموعة المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة، كمبدأ عدم التناقض، ومبدأ السببية، ومبدأ الغائية، وتتميز هذه المبادئ بضرورتها وكليتها واستقلالها عن التجربة[6].

الصهيونية: كلمة مشتقة من "صهيون" وهو تل صغير في القدس، ويقصد بها حركة قومية متطرفة أسست في القرن التاسع عشر، وتهدف لعودة اليهود إلى أرض إسرائيل

---

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة (1423 هـ، 2002م)،04/05.
[3] إبراهيم مصطف و أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط ( )، 13/20.
[4] ابن منظور،لسان العرب ( )، 11458 /.
[5] أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق ،(1961 م)287.
[6] جميل صليبا،المعجم الفلسفي(1982 م،)02/87.

التي وردت في الكتب المقدسة لليهود، وإنشاء وطن قومي لليهود هناك، وتستند في هذا على المفاهيم الدينية، المزاعم التاريخية، والنيات الاستعمارية.[7]

مفهوم العدوانية:

لغة:أصل كلمة عدوانية من العدوان وهو الظلم الصراح، و يقال)عَدْوًا وعدوًّا و عداءًا وعُدْواناً، وعِدْواناً، وعُدْوَى عليه(أي ظلمه والعداوة أي الخصومة والمباعدة.[8] أما **اصطلاحا:** فترمز إلى إيذاء الذات أو الغير أو ما يحل محلها من الرموز و يعتبر السلوك العدائي تعويضا عن الحرمان الذي يشعر به الشخص المعتدي[9].

المطلب الثاني: أصول النزعة الصهيونية.

إن الفكر الصهيوني ليس نتاجا للتراث الديني اليهودي، ولا نتاجا لحركة ثقافية يهودية، بل هو نتاج مباشر للفكر الاستعماري الغربي، ولأن التاريخ دائما يكتب من وجهة نظر القاهر لا المقهور، فإن الصهاينة في كتابتهم لتاريخ الصهيونية، كانوا يبدأون بالمؤتمر الصهيوني الأول (مؤتمر بال 1897م) و لا يذكرون شيئا عن النزعة الصهيونية وأن جذورها متأصلة عن البروتستونتية المتطرفة، التي نادرت بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين، لتحقيق الخلاص وعودة المسيح. وقد تبلورت هذه

---

[7] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (القاهرة: دارالشروق،)
انظر: عبد الوهاب المسيري، دراسة بنية الفكر الصهيوني(بيروت: 1979م) 12.

[8] المنجد في اللغة و الأعلام (بيروت: دار المشرق.، الطبعة 26، 1973 هـ)، 492.

[9] الحربي عواض بن محمد عو يض، العلاقة بين مفهوم الذات و السلوك العدواني لدى الطلاب الصم دراسة مقارنة بين معهد و برنامجي الأصل بالمرحلة المتوسطة(الر ياض:رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.، 2003 م)، 40.

الأطروحة في إنجلترا وتعلمنت على يد مفكرين غير يهود هما اللورد شافتسبري[10] و السير لورنس أوليفانت[11]، وبالتالي نجد أن هذا الفكر نما وتبلور قبل ظهور هرتزل وقبل ظهور الفكر الصهيوني بين اليهود أنفسهم، والواقع أن هذا الأمر مسكوت عنه في الكتابات اليهودية[12] (مسألة أن الشخصيات الراعية للفكر الصهيوني كانت معادية لليهود، وتكن لهم الكره، وهذا حال بلفور صاحب الوعد الشهير فقد كان يرى أن اليهود يشكلون عبئا على الحضارة الغربية).

ولا يمكن تناول نشأة الحركة الصهيونية بمعزل عن تناول المسألة اليهودية والتعرض لمسألة القومية في أوربا وقيام الدول القومية، فالمنطلق التاريخي يشي بحقيقة واحدة، هي أن الحركة الصهيونية ، والأيديولوجية الصهيونية بكل ما فيها من أفكار وطموحات ، إنما ولدت في رحم الحركة القومية الأوروبية، لذلك جاءت على شاكلتها ، ومن ذات الطرق و الوسائل التي اتبعتها في صياغة أطرها و أنمتط عملها وترجمتها الفعلية على أرض الواقع .[13] وبالتالي فقد ساهمت هذه الحركة في تعميق فكرة التمايز القومي و الخلافات بين جماهير البؤس والحرمان من جهة و البرجوازية المسيطرة على كل وسائل الانتاج من جهة أخرى ، و سلطت الضوء على المجموعات اليهودية في أوربا، ومع تصاعد المشاعر القومية و إثارة الإحساس بالفخر القومي،

---

[10] اللورد شافتسبري: (1801م-1885م) أحد الشخصيات الانجليزية البارزة في القرن التاسع عشر. تبلورت العقيدة اليهودية على يده في كتاباته النظرية ، وأشهر ما كتب " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" الذي قدمه أثناء عقد مؤتمر الدول الأروبية في لندن 1840م، ودعا فيه لتبني لندن إعادة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة خاصة بهم.

[11] لورانس أوليفانت: (1829م-1888م) صديق لورد شافتسبري وهو صهيوني غير يهودي، ومفكر يستخدم دباجات علمانية، وينطلق شأنه شأن الصهاينة من فكرة الشعب العضوي المنبوذ ، وكان ينطلق من منطلق الصهيونية الأساسية وأن لليهود حق في العودة إلى فلسطين.

[12] سوازان حرفي، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_ الصهيونية و اليهودية، (دمشق: دار الفكر، 2009م)،73-74.

[13] ظافر الخطيب،العنصرية الصهيونية هي وليد شرعي للشوفينية القومية الأوروبية، موقع عرب 48 ،31_10_ 2010م ، سا 11:02.

كان لزاما على أوربا التعامل مع مسألة الأقليات واليهود منهم بالاندماج والاستيعاب للخروج من حالة الجيتو أولا وقد أثارت هذه الدعوة جدلا واسعا بين النخب اليهودية بين مؤيد و رافض ينادي بإقامة دولة يهودية في فلسطين، كحل للمسألة اليهودية.[14]

لم تكن العوامل التاريخية والاجتماعية كافية لتجسد الظهور الظاهرة الصهيونية بل كان لابد من إطار حضاري وفكري يبلورها حتى تتحقق كظاهرة فعلية، وتمثل هذا الإطار في الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية، فثمة علاقة بنيوية بين هذه الرؤية والتشكيل الاستعماري الغربي هذا من جهة ، و الصهيونية من جهة أخرى، فبعد أن أصبح اليهود يشكلون عنصرا غير نافع داخل الحضارة الغربية وفي نفس الوقت لا ينتمي إليها، ما كان الحل إلا بإخراج اليهود من الغرب وتحويلهم إلى عنصر نافع من خلال توظيفهم كجماعات وظيفية، تحت إشراف الدول الاستعمارية الكبرى في الغرب، تدين لها بالبقاء وتقوم هي في المقابل تقوم على خدمتها. وبالتال أسقطت الصهيونية على اليهود الرؤية المعرفية العلمانية الامبريالية للغرب ، فصبغتهم بفكرة المحورية والقداسة المطلقة ، فجعلت منهم الشعب المختار بالمعنى لمادي العلماني (تلغي الحدود بين الإله والأرض والشعب، وتنزع القداسة عن كل ما هو غير يهودي) و بهذا جعلت منهم شعبا عضويا يرتبط ارتباطا عضوي بأرضه وتراثه، وهو ما يعطيه حقوقا مطلقة في هذه الأرض، يمكنه بمقتضاها أن ينقل سكانها منها أو يوظفهم في خدمته أو يبيدهم إذا لزم الأمر.

---

[14] سلمات قعفراني، أزمة الإنتماء اليهودي(بيروت: دار المناهل، 2005م)،40.

ولعل من أهم الأفكار الغربية التي شكلت الفكر الصهيوني، فكر حركة الاستنارة، فقد رفض الصهاينة ما سموه " خضوع الشخصية اليهودية" وتمردوا عليه وقالوا أن العودة إلى فلسطين لن تتم إلا من خلال التخطيط البشري، وليس من خلال الانتظار لأمر الإله كما يقول الحاخامات. فقد طرحت الصهيونية نفسها بادئ الأمر على أنها رؤية شاملة للحياة اليهودية، والتاريخ اليهودي، الإنسان اليهودي وعلاقته بالطبيعة (الهوية اليهودية)، وقد أدركت اليهودية حقيقتها على أنها حركة علمانية ترفض العقيدة اليهودية، والإيمان بأي مطلقات دينية أو أخلاقية، متجاوزة ذلك لعالم المادة والقوى. ومن خلال كل هذا لا يمكن القول أن الصهيونية نابعة من التوراة والتلمود والتراث الديني اليهودية، بل اتسعانوا بها كدباجات لتجنيد الجماهير اليهودية ليس إلاّ، و تظل الجذور الحقيقة للفكر الصهيوني هي الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية.[15]

المطلب الثالث: لا دينية آباء الصهيونية.

الملاحظ _ كما أشرنا سابقا_ أن مؤسسي الصهيونية لم يعيروا اليهودية أي انتباه، بل منهم من اعتبر أن عقيدة اليهود هي نفسها تشكل مشكلة اليهود الحقيقية، وهذا ما تجلى في العداء الواضح لليهودية ولا دينية آباء الصهيونية، فقد عدّ تيودور هرتزل من قبل الكثير من المؤرخين على أنه ملحد أو على أقل تقدير لا ديني وغيره كماكس مولر وحاييم وايزمان، أما بالنسبة لبن غوريون فلم يكن يؤمن بقصص التوراة، ويرى بأنها ليست أحد كتب اليهود المقدسة بالمعنى الديني ، وإنما هي كتاب فلكلور الشعب

[15] سوازان حرفي، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_الصهيونية و اليهودية، 79.

اليهودي ، ومن ثم فهي ليست ملزمة أخلاقيا ، وأنها أشبه برابط يربط أعضاء الشعب بعضهم ببعض وليس لها علاقة بالخالق أو العقيدة .[16] كل هؤلاء يمكن أن يقال عنهم زعماء الصهيونية لكنهم لم يكونوا يهودا بالمعنى الديني، فقد تعمد انتهاك بعض الشعائر الدينية عند ذهابه إلى فلسطين، وهذا ليبين أن الرؤية الصهيونية رؤية معادية للدين (أي لا دينية) هذا وقد اتخذ الصهاينة موقفا معاديا للدين من كثير من المفاهيم المحورية في العقيدة اليهودية أبرزها الأرض والشعب و كيفية عودة الشعب إلى الأرض، وبذلك أصبحت معاداة اليهود واليهودية الإطار المرجعي الوحيد لفكر الصهيونية وهويتها. كان ينظر إلى اليهود على أنهم شخصيات كريهة خارجية وطفيلية، تشكل خطرا على القوميات العضوية في أوربا ، وبالتالي صيغة الشعب العضوي صيغة خروجية تصفوية إن صح التعبير، فهي تعني حتمية خروج الحسم الغريب (أي اليهود) من الكيان العضوي الأكبر (أي الحضارة الغربية) واختفائه تماما، وقد عرض هرتزل عدة طرق لهذا الخروج، كالزواج المختلط وتعميد اليهود وتنصيرهم، تهجيرهم إلى أي مكان وقد اقترحت بعض الدول لهذه الغاية كالأرجنتين وأوغندا ، والملاحظ أن كل هذه الحلول تقتضي الاختفاء التام لليهود وأنصارهم، وقد كانت تبدو لهرتزل غير رشيدة ولن تجدي ذاك النفع المرجو منها، ولهذا وجد النازيون أكثر الحلول نجاعة، من خلال الترونسفير النهائي عن طريق الإبادة، وسنأتي على توضيح ذلك لاحقا.[17] كان هرتزل يرفض بادئ الأمر فكرة الخروج على

---

[16] سوازان حرفي، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_ الصهيونية و اليهودية ، 219.

[17] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(القاهرة: دار الشروق)،6 /232.

الطريقة الصهيونية الاستيطانية، والانعتاق الذاتي باعتباره حلا رومنسيا ونعتها على أنها محاولة تسلل وهروب وبالتالي صبغها بصيغة أكثر تنظيما وبشكل ممنهج يعطيها نوعا من الأحقية ولا يجعل الغرب الليبيرالي يشعر بالحرج بسبب عنصريته الواضحة، وطرح حتمية الاعتماد على الامبريالية وطالب الحكومة الغربية المعنية بالحصول على قطعة أرض محايدة (خارج أروبا) يمارسون عليها سلطتهم وفي المقابل يقدمون خدمات إمبريالية للحضارة الغربية، وقد طرحت عدة دول لهذه الغاية كالأرجنتين وأوغندا، ولكن اختيرت فلسطين لتوطين اليهود فيها ،و لإقامة الدولة الوظيفية قتالية بسبب موقعها الاستراتيجي، فلم تكن فلسطين معروفة بثرواتها الطبيعية، ولا أرضها الخصبة، فهي ليست في ثراء ولا خصوبة أوغندا التي وقع عليها الاختبار أول الأمر لتكون الوطن اليهودي الجديد ثم عُدل عنها، وبهذا يكون هرتزل قد قدم الحل العبقري : دولة يهودية ذات سيادة تؤسس خارج أوربا ومصدر سياتها العالم الغربي، فقد أخرج اليهود من التشكيل القومي الغربي وأعاد إدخالهم عن طريق التشكيل الاستعماري الغربي، وهذه عبقرية ملفتة تحسب له. فإن كان نقل الكتلة اليهودية المنبوذة هو الحل المطروح فلا بد من أن يكون لهذا الخروج منافع للدولة الراعية، وأهم هذه المنافع أن الدولة الصهيونية ستحول إلى عملاء للدولة الغربية، وبالتالي تحل المسألة اليهودية والمسألة الشرقية في آن واحد.

المبحث الثاني: منطق العنف في الصهيونية.

المطلب الأول: تعاون الصهيونية مع النازيين.

بعد نجاح الحضارة الغربية الحديثة في القضاء على الشخصية التقليدية ذات الولاء لمطلق خُلقي ثابت يتجاوز عالم المادة والتاريخ، وأحلت محلها الشخصية البراغماتية، الحركية، المتغيرة، والمتقلبة حركة المادة والتي لا ولاء عندها لأي ثوابت أو مطلقات غائية. ومن ثم يمكنها أن تطيع الأوامر الخارجية فهي شخصية لا تفكر في الغايات وإنما في الوسائل والإجراءات وحسب، وفي أحسن السبل لإنجاز ما أوكل إليها من مهام دون تساؤل عن مضمونها الأخلاقي أو هدفها الإنساني، وبظهور هذه الشخصية أصبح من الممكن أن تقرر الدولة و أعضاء النخبة إبادة العناصر غير النافعة في المجتمع (أي التطهير العرقي أو ما يسمى خدمة مصلحة الدولة العليا).[18] فالعقل المادي يتعرف على الحقائق المادية فقط، ولا يتعرف على قيمتها، فالقيم متجاوزة لعالم المادة، و هناك من يرى أن قيام النازية بإبادة الملايين من الغجر واليهود، وما سموهم أفواه تأكل ولا تنتج، إنما هو أحد إنجازات العقلانية الأداتية ، التي حررت النازية من أي أعباء أخلاقية مثالية. وهذا الفكر العقلاني المادي هو ما أفرز حركة الاستنارة التي تشكلت على إثرها فكرة الحركة الصهيونية كما أسلفنا الذّكر.فالغرب الذي خلق النازية هو ذاته الذي خلق الصهيونية، كلتاهما عنصر إبادة تضرب بجذورها في الفكر العنصري الإمبريالي، الذي ولد في القرن التاسع عشر و إنّما ترعرع في أوائل القرن العشرين ، وكما سبق و أشرنا أن الآباء الأوائل للصهيونية مثل هرتزل كانوا ألماناً

[18] سوزان حرفي ، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_ الصهيونية و اليهودية،265.

ذوي توجه ألماني قوي، يكنون كثيرا من الإعجاب للعسكرية الألمانية، وبالتالي من العادي أن نجد أمثلة تشابه كثيرة بين النازية والصهيونية .

وتوجد وثائق تدل أن التيار الأساسي في الحركة الصهيونية آنذاك هو الآخر نازي الهوى، حيث أرسلت جماعة "شتيرن" الصهيونية للحكومة النازية مذكرة تقترح حلا للمشكلة اليهودية في أوربا، وتذهب إلى أنّ إجلاء الجماهير اليهودية من أوربا هو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية. ، وفي 21 جوان 1933م أي بعد وصول النازيين إلى السلطة، أصدرت المنظمة الصهيونية في ألمانيا إعلان الاتحاد الصهيوني وضع اليهود في ألمانيا الجديدة، والذي حدد طبيعة علاقة الصهاينة بالنظام النازي بشكل واضح لا إبهام فيه. وتشير المذكرة غلى تأكيد أن الصهيونية مثل النازية تمزج الدين بالقومية فالأصل والدين ، ووحدة المصير، والوعي الجمعي يجب أن تكون كلها ذات دلالة حاسمة في صياغة حياة اليهود، كما تقوم المذكرة على تعريف اليهود تعريفاً عرقيا ، مبينة هدف الصهيونية بالحفاظ على نقاء الجماعة اليهودية.[19]وفي المقابل استجاب النظام النازي بإيجابية، فقام بتشجيع النشاط الصهيوني ودعم المؤسسات الصهيونية، بل تجاوز ذلك إلى التنسيق والتعاون في عمليات إفراغ ألمانيا من اليهود ولعل اتفاقية "الهعفراه" والتي تم بموجبها ترانسفير آلاف اليهود إلى فلسطين، هي خير دليل على مدى التعاون بين الصهاينة والنازية، ومدى التطابق بين أهداف الطرفين حتى و إن حاول كل منهما التنصل من هذه الوقائع التاريخية. هذا وقد وجدت حالات

[19] حوارات سوزان حرفي، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_ الصهيونية و اليهودية، 267- 268.

أخرى لتعاون الصهيونازية نسبة إلى (الصهيونية والنازية) فقد حاول نوسيج أحد الآباء الصهاينة الأوائل حل المشكلة اليهودية كغيره من الصهاينة ، فأسس منظمة للتعجيل بنقل اليهود أسماها إيكو_ AIKO ولكنه أخفق على ما يبدو في نقل اليهود على الطريقة البلفورية، فاعتمد الطريقة النازية (أي عن طريق الإبادة) حيث وضع نوسيج خطة محكمة، متكاملة لإبادة اليهود الألمان غير النافعين (المسنين والفقراء) وتهجير البقية أو إبادتهم أيضا. ولكن كشف مخططه من قبل أعضاء المقاومة اليهودية في جيتو وارسو وحكم عليه

بالإعدام.[20]ونجد أن نوسيج قد اختفى من الأدبيات الصهيونية والغربية لأنه يعد نموذجا جليا يفضح المشروع الصهيوني باعتباره ينبع من كره عميق لليهود، ورغبة في التخلص منهم.

والواقع أن الصهيونية ظلت حركة انعزالية، وغير مقبولة لدى غالبية اليهود، و أن مصالح الصهاينة والمستعمرين (الغرب) هي التي دفعتهم للهجرة، رغم كونهم غير معنيين بها، لولا الجهود الكبيرة والدعم من أثرياء الاشكيناز، والتسهيلات النازية بادئ الأمر، وتعاون الصهيونازية أولا: عبر اتفاقية الهعفراه والتي تقتضي تصدير اليهود إلى فلسطين، كحل أمثل للمشكلة اليهودية ، وبالتالي استيطان اليهود في فلسطين باعتبارها أرض مهجورة مهملة (كما جاء في الاعتذاريات الصهيونية) وهذا ما ينتهي بطبيعة الحال إلى تأكيد حق اليهود المطلق في فلسطين (قانون العودة)، ولما

---

[20] سوزان حرفي، حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_ الصهيونية و اليهودية، 271.

كانت الحركة الصهيونية تنطلق من أن اليهود "شعب بلا أرض" و أن فلسطين " أرض بلا شعب" فقد تحققت مقولة "شعب بلا أرض، لأرض بلا شعب"، وبالتالي تصبح فلسطين المسرح الذي يتحقق فيه المشروع الصهيوني، سواء كان يشغلها الفلسطينيون أم لا.[21]لتليها "المحرقة" لاحقا وتستفيد منها الصهيونية في تحقيق هدفها الأكبر وهو دفع اليهود إلى الهجرة من أوربا، ومع إقناعهم بذلك بدأ التفكير في طرد الفلسطينيين على اعتبارها أرض إسرائيل (إيرتس يسرائيل) وبذلك تساوت فكرة التهجير اليهودي إلى فلسطين مع فكرة التطهير العرقي الفلسطيني منها. وكان لزاما أن ينظموا أنفسهم بصرامة ،حتى تحل هذه الرؤية حيز التنفيذ، وتتحقق فعليا على أرض الواقع، فعمدت الصهيونية إلى إنشاء المؤسسات الاجتماعية، والاقتصادية، والعسكرية، لوضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ، ويمكن القول أن السمات الأساسية للاستيطان الصهيوني تمثلت فيما يلي:

_ تعتبر إحلالية الاستعمار الصهيوني سمته الأولى والأساسية حتى عام 1967م ، وذلك بأن تحل الكتلة البشرية الصهيونية محل السكان الأصليين، من خلال تفريغ أوربا من العبء اليهودي و إحلالهم بفلسطين.

_ أما السمة الثانية هي التوسع الصهيوني، فقد أكدت منظمة الهاجاناه (تنظيم عسكري يهدف إلى خلق الشعب اليهودي) أن الاستراتيجية الاستيطانية ليس هدفا في حد ذاتها وإنما وسيلة للاستيلاء السياسي على فلسطين.

---

[21] عبد الوهاب المسيري، موسوعة: اليهود واليهودية والصهيونية(القاهرة: دار الشروق،) 7 /60- 61.

_ ثمة سمة بنيوية ثالثة يتسم بها الاستيطان الصهيوني هي أنه ليس مشروعا اقتصاديا وإنما مشروع عسكري استراتيجي، لذا فهو مشروع لا يمكن تنفيذه إلا بالعنف و لابد من تمويله من الخارج من طرف الجماعات اليهودية في العالم أو الراعي الامبريالي.[22]

المطلب الثاني: الحلولية اليهودية و منطق الاصطفاء.

انطلق الخطاب الصهيوني من مفهوم الشعب المختار، و النظرة اليهودية والتي يراها المسيري نظرة حلولية تسبغ القداسة على اليهود، وتعمق عملية التخصيص ومنطق الاصطفاء، فالحلولية هي الاعتقاد بأن الله يسكن خلقه، أو بعض خلقه، ويتحد معهم ليصبحوا جوهرا واحداً. وبذلك كان يرى بعض الحاخامات أن الله حل في الشعب اليهودي فأصبح شعبا مختارا، كل أعماله خيرة كانت أم شريرة أعمال مقدسة. وقد ورثت الصهيونية هذه النظرة الحلولية التي تظهر في عدّة أمور:

_ الخلط بين التاريخ الزمني البشري (مجال الهداية والضلال) والتاريخ المقدس (تتجلى فيه إرادة الله) ومهمة التاريخ المقدس هي تزويد الانسان بمعايير يحاكم بها التاريخ الزمني. يرى الصهاينة أنه بحلول الإله في التاريخ، اختلط التاريخ البشري الزمني بالتاريخ المقدس، ولذلك يرجعون إلى قصص العهد القديم (تاريخ الملوك والأسباط) وهو تاريخ مقدس وزمني في آن واحد، ولذلك نجد أن القصص التوراتي

---

[22] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،6/ 173.
انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،6/208.

يرد كاملا بكل تفاصيله، كأحداث تاريخ الملوك العبرانيين مثلا، نلاحظ أنها ترد بالتفصيل منذ اعتلاء الملك العرش حتى وفاته،[23]

_ مسألة احتكار الإبادة ودور الضحية ، حيث يتحدث الصهاينة عن المسألة اليهودية كما لو كانت أمرا فريدا، وعن الدولة اليهودية كما لو كانت ليس كمثلها شيء، والهولوكوست باعتباره أمرا حدث لليهود فقط، وحتى يحققوا هذه النتائج، عزلوا هذه الوقائع عن إطارها، فأصبحت ظواهر غير تاريخية وبذلك يصبغونها بأي صبغة و يؤولونها كما شاؤوا ، ثم يوظفونها بالطريقة التي تخدم مصالحهم ورؤيتهم الآيديولوجية. وهذه الظاهرة أسمها المسيري " بالتأيقن"[24]

_ تظهر الحلولية بشكل واضح فيما سماه المسيري " ظاهرة الاستمرار اليهودي" فإذا كان تاريخ الشعب اليهودي هو موضع حلول الإله لأن الإله حلّ في ويجهه ويحوطه بعنايته كونه الشعب المختار فإن مسار هذا التاريخ معروف ومقرر مسبقا، ويتبع نمطا واحدا ثابتا وسينتهي بنهاية سعيدة، مهما عانى الشعب اليهودي من مشقات.[25] وهذا النمط ثلاثي الأبعاد المنغلق على نفسه (شعب مختار مستقر في وطنه، قوة ظالمة تنفيه من وطنه، عودة إلى الوطن لبناء الهيكل) يأخذ شكلا مكتفيا بذاته لا علاقة له بالواقع التاريخي المتعين الحي. ولم تكتمل هذه الحلقة (وطن، منفى، عودة) إلا عام

---

[23] عبد الوهاب المسيري، الرؤية الصهيونية للتاريخ، موقع الجزيرة،10_01_2008م
[24] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية( )، 1/ 187.
[25] عبد الوهاب المسيري، الرؤية الصهيونية للتاريخ( )، 190.

1948م بعودة اليهود مرة أخرى إلى فلسطين، وبالتالي فالاستيطان الصهيوني تعبير عن نمط متكرر ومستمر ومتوقع.

_ كما تشكل الرؤية الصهيونية الحلولية للتاريخ خريطة الصهاينة الإدراكية، فهم لا يمكنهم رؤية حقوق الآخرين، وإذا كيف يمكن لشعب مقدس بل ومتأله أن يدرك هذه الحقوق، ويذلك يعتقدون أن احتلالهم فلسطين ليس اغتصابا، وقيامهم بإبادة الفلسطينيين هو مجرد دفاع عن النفس وعن حقوق اليهودية المطلقة لشعب مقدس يعود إلى أرضه المقدسة، وهكذا يختفي عنف الصهاينة وعنصريتهم وراء ستار القداسة والحلول الإلهي.

خاتمة:

نخلص مما سبق إلى أن الصهيونية ليست نابعة من التراث الديني اليهودي، بل هي منتج الفكر الاستعماري الغربي، وأن آباء الصهيونية كانوا في الأساس معادين للدين اليهودي.

كما أن التعاون بين الحركة الصهيونية والنازية في القضاء على اليهود غير المرغوب فيهم، ونقل البقية منهم إلى فلسطين، كحل للمسألة اليهودية ، وهذا لا يعني أن الإبادة كانت حكرا على اليهود كما يدعي اليهود وكما تحاول أن تروج الصهيونية لكسب التعاطف العالمي، وخدمة مصالحها.

وأن الرؤية الصهيونية الإحلالية للتاريخ تمنح اليهود قداسة مطلقة وتبرر الاضطهاد والتطهير العرقي ضد الفلسطينيين.

قائمة المصادر والمراجع:

_ إبراهيم مصطف و أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط(القاهرة. مكتبة الشروق الدولية. 1960م) .06

_ ابن فارس. مقاييس اللغة (1423 هـ، 2002م).4

_ ابن منظور،لسان العرب(بيروت: دار صادر. 2010م). 11

_ أبو حامد الغزالي. معيار العلم في فن المنطق .(القاهرة: دار المعارف. 1961 م)

_ جميل صليبا. المعجم الفلسفي(القاهرة: مجمع اللغة.1982 م).2

_ الحربي عواض بن محمد عو يض، العلاقة بين مفهوم الذات و السلوك العدواني لدى الطلاب الصم دراسة مقارنة بين معهد و برنامجي الأصل بالمرحلة المتوسطة(الر ياض:رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السعودية

_ سلمات قعفراني. أزمة الإنتماء اليهودي(بيروت: دار المناهل. 2005م)

_ سوازان حرفي. حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري_ الصهيونية و اليهودية(دمشق: دار الفكر. 2009م)

_ ظافر الخطيب،"العنصرية الصهيونية هي وليد شرعي للشوفينية القومية الأوروبية". موقع عرب(48 ،31_10_ 2010م ، سا 11:02.)

_ عبد الوهاب المسيري. دراسة بنية الفكر الصهيوني(بيروت: 1979م)

_ عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(القاهرة:دار الشروق، 1999م).1

_ عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية(القاهرة:دار الشروق.).6

_ عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. (القاهرة: دارالشروق. 1999م).7

_ عبد الوهاب المسيري." الرؤية الصهيونية للتاريخ". موقع الجزيرة (10_01_2008م)

_ عبد الوهاب المسيري، رؤية فلسفية فريدة للعالم والإنسان، تنقيح: سامح عود:05 /07 /2020م، موقع الجزيرة

_ علي بن حسن الهنائي.المنجد في اللغة و الأعلام (بيروت: دار المشرق.، الطبعة 26، 1973 هـ)